رئيس التحرير : موسى كريدي

الكتاب القادم :

في صحة المجتمع

د . عبد الحسين بيرم

السعر ٥٠ فلسا

دار الحرية للطباعة - بغداد

نظرات جديده في مستقبل العمل الاذاعي

سعد البزاز

المؤلف في سطور

- سعد البزاز

- مواليد مدينة الموصل ١٩٥٢
- تخرج في جامعة بغداد - كلية القانون والسياسية
- عمل في الصحافة والاذاعة والتلفزيون
- من مؤلفاته :
- ● - الهجرات - مجموعة قصص ١٩٧٢
- ● - البحث عن طيور البحر - مجموعة قصص ١٩٧٦ .
- ● جمع واعداد الاعمال الشعرية الكاملة للشاعر شاذل طاقة ١٩٧٧ .
- - تحت الطبع :
- ● - قصص - ١٩٨٠ - عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ببروت
- - يعمل حاليا في المركز الثقافي العراقي في لندن .

نظرات في مستقبل العمل الاذاعي

سعد البزاز

منشورات دار الجاحظ للنشر - وزارة الثقافة والاعلام

آذار ١٩٨٠ بغداد

الموسوعة الصغيرة

سلسلة ثقافية نصف شهرية تتناول مختلف العلوم والفنون والآداب تصدرها دار الجاحظ للنشر

رئيس التحرير : موسى كريدي

المستقبل والارادة

ان نظرة خاطفة الى طبيعة التنافس في الحاضر تجعلنا نتصور ان كل ما يحيط بنا هو مقدمة لحالة تنافس شديدة الضراوة ستحصل غدا .. وغدا موعد كثير المرونة بين ان يقع بعد أيام او يقع بعد سنين ، وربما يكون الغد مثل الحاضر تنبيها لموعد مقبل سيتخذ فيه الصراع والتنافس في مجالات السياسة والثقافة والاعلام اشكالا حادة .. ولذلك فان الفكرة التي تنبثق لبناء الحاضر ترافقها افكار كثيرة تتصور ملامح المستقبل وتحاول الامساك بضمانات التفوق والتقدم ... ولعل المجالات الحيوية في حياة المجتمع البشري هي المجالات الاكثر ارتباطا بهذا السعي المحموم باتجاه المستقبل ، ووسائل الاتصال التي لم تكن يوما الا تعبيرا عن اتجاهات عقائدية وسياسية وحضارية محددة تتقاطع مع سواها هي (مجال حيوي) شديد الحساسية يشهد حاضره اليوم تسابقا غير

اعتيادي نحو الغد ... لتتراكم خبرة انسانية هي ملك للجميع بلا شك .. ولكنها من جانب آخر تمنح الاطراف السباقة فرصا اكبر وخبرة اعمق في الايصال والتاثير في المجموعات البشرية المستهدفة عبر وسائل الاتصال ...

ان هذا كله يقع في نطاق حجم ارادة المجتمع وقادة الراي فيه ... وتناسب افكار ومشاريع المستقبل طرديا مع قوة هذه الارادة ... فاذا ما توفرت الارادة توفرت ضمانات اساسية لامتلاك فرص النهوض وتطوير الحاضر وترسيخ اسس التقدم باتجاه المستقبل ... وعندما تكون هذه الفرضية صحيحة في عموم مجالات النشاط الانساني المختلفة فانها في مجالنا الحيوي وسائل الاتصال وبخاصة (الراديو والتلفزيون) تكون دقيقة للغاية لعدة اسباب ...

١ ـ ان هذا المجال الحيوي يشهد تنافس جميع المجموعات البشرية على تفاوت ثقلها البشري والحضاري والسياسي ولم يعد هناك مجتمع انساني متحضر بدون وسائل اتصال ...

٢ ـ ان هذا المجال واحد من اهم مجالات الصراع الدولي الذي يوظف لخدمة التفاهم البشري حضاريا واقتصاديا وثقافيا ويوظف لخدمة

اهداف الصراع السياسي والاعلامي بما يتصف به من امكانيات الوصول الى المناطق الجغرافية المغلقة ...

٣ ـ ان هذه الوسائل مشاعة ومتوفرة وفي متناول كل فرد ، ولم يعد ممكنا دراسة احوال الفرد والمجتمع دون دراسة تاثيرات وسائل الاتصال وبخاصة الراديو والتلفزيون على كليهما ...

٤ ـ ان وتيرة التطور التي يشهدها الراديو والتلفزيون سريعة للغاية نسبة الى العمر الزمني لهذين الجهازين ... وان هذا التطور يتعلق بعنصرين .. الثورة التقنية والصناعية والعلمية في مجالات مديات البث والسيطرة على الاثير وادوات التنفيذ ووسائله ... والامكانات البشرية بافكارها الخلاقة المبتكرة والمواهب الفردية المتراكمة والخطط والبرامج وفلسفات العمل .

٥ ـ ان الراديو بالدرجة الاولى والتلفزيون بالدرجة الثانية في حاضره (وسيتقدم الدرجة الاولى في مستقبل التطورات المنتظرة لمديات البث) يدعمان السياسات الخارجية

لدول العـــالم ويؤثران في اتجـاهاتها بحيث اصبح تاثير هاتين الوسيلتين اكثر عمقا مـن التاثيرات المتوقعة لوسائل الاتصال الاخـرى في حالة وجود (منطقة جغرافية مغلقة) امام طرف من الاطراف .

ان عبور الاسلاك الشائكة وتخطي اجهـــزة الرقابة وحراس الحدود متاح امام الراديو بشـكل كبير في عصر لم تعد فيه نوافذ مغلقة ... وبالمنطوق السـياسي فان الراديو يسهم في صناعة السيـاســة الخارجية حيث يستخدمه طرف من الاطراف (في حالات غلق البقع الجغرافية امامه) في التاثير على الراي العام في البقعة الجغرافية المغلقة في محاولـة لتعبئته للضغط على السلطات السائـدة هنـــاك والتاثير على صانع القرار السياسي الخارجي فيـه لاتخاذ سياسة خارجية تتوازى مع الاهداف التي يسعى اليها الطرف الذي عمل على تسليط ضغطه نحو الراي العام في الطرف المقـــابل ... ويمكن تصور هذه النتائج من التاثير والتفـاعل في حالات توفر الشروط الطبيعية للتعبير الحر ...

من المبادىء الرئيسية لتعبئة السعي القائم باتجاه المستقبل على مدياته المختلفة بما يضـمن تحقيق تطورات تقنية وبرامجية وتخطيطية نوعية

في عالم متـــابق حتى الجنون يقتضي ملاحظـة مايلي / ...

١ ــ ان التفكير ببرامج وخطط المستقبل ليس حكرا على فئة محددة من العاملين في حقل الراديو والتلفزيون يتمتعون بصفة المخططين او بقادة الوحدات الانتاجية الحالية . ولابد من تحقيق صيغ ضامنة لمساهمة اكبر عدد ممكن من المحررين والمخرجين والمعلقين والمذيعين والمهندسين والمندوبين في محاولة لاستيعاب افكار جديدة واغناء الافكار السائدة ولامتلاك شرط حاسم في العمل هو حماس عدد كبير جدا من العاملين الذين يسهمون في التنفيذ ويشعرون بمساهمتهم في بناء هذه الخطط والبرامج وصياغتها لتنتقي الحالة السلبية السائدة بالفصل بين هيئة محددة من المخططين وهيئة عاملة كبيرة من المنفذين واعتقد ان التجربة العراقية رغم ما شهدته من اشكال متفاوتة في استيعاب ملاحظات وافكار ومقترحات العاملين المنفذين الا ان هذه الصيغة متلكئة وغير ثابتة وكثيرا ما يشعر العاملون المنفذون بعزلتهم عن الخطط التنفيذية المرسومة (البرامجية) ...

٢ ــ ان التخطيط لبرامج المستقبل تقنيا وبرامجيا يجب أن لا يتحدد بما يقدمه ذوو الخبرات الطويلة في الراديو والتلفزيون منطلقين من انهم يقفون على ارضية جيدة لخبرة متواصلة اتخذت شكلها النهائي وبالتالي فان الحقائق التي توصلوا اليها ثابتة ساكنة لايمكن هدمها ولذلك فاسهام الفئات الشابة الجديدة في التخطيط لبرامج المستقبل يضمن امرين مهمين الاول تطوير الخبرة التي انتهى اليها العاملون الرواد والقدامى والثاني ضمان حماسة متواصلة في التنفيذ لدى هؤلاء الشباب الذين تتيح لهم اعمالهم وتتيح سنوات الغد مساهمتهم في تنفيذ مايجري تخطيطه لهذا الغد ... وبذلك تزول اية غربة بينهم (اليوم وغدا) وبين التخطيط والتنفيذ .

٣ ــ ان رفع الحماس باتجاه (المستقبل) والتنويه بمخاطر التباطؤ او التلكؤ في التسابق اليه او المكوث عند الحقائق الراهنة في العمل الاذاعي والتلفزيوني يوفر اجواء عمل صحيحة لتجاوز اخطر امراض العمل التي تعرف (بنمطية) العمل الاذاعي وسكونه عند صيغ واساليب ومحتويات وطرائق جامدة اصبحت معروفة لدى المستمع والمشاهد وادت الى

فقدان الراديو والشاشة عنصر المفاجأة والتطوير والاضافة ... وعندما لا نسعى الى المستقبل فا الاخرين على اختلاف برامجنا العقائدية والسياسية والثقافية والتربوية سيسبقوننا اليه ما دامت هذه الوسيلة تقف في خضم الصراع الدولي القائم .

٤ ــ ان الحديث عن مستقبل العمل الاذاعي القومي والمحلي يجب أن يتصل بالخبرات التي يمكن الحصول عليها من عمل المجموعات الاقليمية والدولية التي تدل المؤثرات الراهنة على حاجة الجميع اليها وامكان تحويل هذه التجمعات الى مراكز فاعلة في تبادل الخبرة والتعرف الى الحقائق الجديدة في العمل الاذاعي .

خطوات نحو اذاعة قومية

في عصرنا هذا ؛ عصر نهوض القوميات المحررة وتميز شخصياتها ، يشكل نهوض الامة العربية الحدث الاعمق في هذا العقد من حياة البشرية ، وبقدر مايكتنف هذا النهوض من محيط معقد وشائك وما يشهده من صراع ساخن ؛ فان الوسائل جميعها تتكامل مع بعضها لتعبر عن ارادة النهوض.

ولعل اهم الوسائل هي تلك التي ترتبط مباشرة بالتوعية والتثقيف وبناء المشروع الثقافي العربي الواحد ذي الاهداف التاريخية الواضحة . وفي هذا العصر التقني تغلب وسيلة اخرى في الوصول الى العقل والنفس من الفرد ؛ ولا شك ان (الراديو) قد دخل حياة الانسان ليمس عقله ونفسه كل يوم ويسهم في اشاعة الافكار او التعتيم عليها ؛ وهذه الوسيلة الحاضرة في حياة الفرد العربي على تباين مستويات الحياة الاجتماعية والاقتصادية اصبحت وصلة فعالة في تحقيق المشروع الثقافي الموحد للامة .

وبالقدر الذي تعاني فيه الحياة العربية من تناقضاتها الطارئة او المتواصلة في انماط التطور من قطر عربي لاخر فان الوسيلة المصرية الجذابة ظلت تعبيرا عن النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي « ليس في الوطن العربي اذاعات تصدر عن هيآت اجتماعية او ثقافية او سياسية غير الدولة في النطاق المسموح به » ولذلك فان هذه الوسيلة تسير في خطين متعاكسين ، الاول ان تعبر باللغة الواحدة والموضوع الواحد عن وحدة الضمير العربي والثاني ان تتناقض في المعالجة والاسلوب تناقض الانظمة الاقتصادية والسياسية .

المطلوب الان ؛ اذاعة عربية قوية في مديات البث الاذاعي ، واعية ونشيطة وموثوقة ، يشكل وجودها ثقلا مميزا يغطي التعارض والتناقض ومحاولات العزل والاقلمة ، واذا كان القطر العراقي يحاول الان ان يربط مسار التطور الاجتماعي والاقتصادي بالحاضر والمستقبل العربي ويسمي ، خصائص التكامل الاقتصادي والثقافي والاجتماعي؛ فانه جدير ان يشرع ببناء اذاعة قومية ..

الاذاعة عامل قومي مضاف

يقول « جان ماري دومناك » في كتابه المهم ، الدعاية السياسية : انوجود اجهزة الاعلام المتطورة

(ومنها الاذاعة) لم يعد مظهرا من مظاهر الحياة الحديثة فحسب انما اصبح ضرورة اساسية ، اذن المذياع ، ضرورة في هذا العصر ..

ان الراديو هو الوسيلة التي تصل دون وسيط أو استئذان وتلاحق الفرد في غمار حياته اليومية ، وتملك القدرة على الايهام والايحاء بموجاته (التي لم تعد مشاعة بعد اخضاعها للاتفاقات الدولية) لتحقق الاتصال مع الملايين في العالم متجاوزة الحدود وشهد فن الاذاعة واسلوب البث تطورا كبيرا جعل الفضاء منفتحا أمام الانسان متخطيا عقبات الكون الارضي وحدوده .

واذا كانت الاذاعة اداة للتسلية والترفيه والاعلام والاعلان والاخبار والتعليم فان الاستبيانات تدل على ان الجمهور يعتبر المذياع مصدرا للمعلومات والمعرفة بالدرجة الاولى قياسا لاعتباره اياها وسيلة للتسلية كما هو الحال مع التلفزيون حيث يعتبر التلفزيون اداة تسلية بالدرجة الاولى . ان مساس المذياع للوعي في حواس المتلقي يجعله على قدر هام من التاثير على (الكتلة) الاجتماعية التي تستقبل المذياع ، والوحدة الاساسية في هذه (الكتلة) هي الخلية العائلية ومن هنا تاتي أهمية خاصة للمذياع في قيام الروابط بين الافراد والجماعات وفي تعميقها وتحقيق الاكتمال فيها .

ليس مبالغا القول ان ظهور المذياع بكل تأثيراته وتوسع اجهزة الاتصال قد اضاف عاملا حيويا وفاعلا في توطيد اواصر الحياة العربية ذي التاريخ والوجدان والنمطية والثقافة الواحدة فليس اعتياديا مايفعله هذا الجهاز الخطير في ايصال الفكرة والخبر من اقصى نقطة في المشرق الى اقصاها في المغرب من الوطن العربي ،

وعلى الرغم من اختلاف السياسات العربية التي تقود وتوجه اجهزة الراديو في الوطن العربي فان هذه الاجهزة قد ساهمت منذ قيامها في الثلاثينات « اذاعة القدس ، اذاعة القاهرة ، واذاعة بغداد » وبدرجات متفاوتة في تحقيق التواصل داخل الحياة العربية الواحدة ، ولابد من القول هنا ان اي جهاز اذاعي مهما امعنت السلطة التي توجهه في انتهاج سياسات اقليمية متخلفة فانه لن يجرؤ على مقارعة الفكرة القومية ، بل لقد ساهمت السياسات المظللة التي استخدمت الشعارات القومية خدمة لاهداف سياسية محدودة في تحقيق نتائج عكسية ... اننا في عصر قومي لم تعد فيه نوافذ مسدودة ... ففي الوقت الذي يمكن فيه فرض الرقابة والمنع والحجز والحرق على الصحيفة والكتاب والشريط السينمائي والمسرحية فان الراديو يبقى اكثر حرية فمن يستطيع منع الاثير من حمل الموجات الاذاعية؟

والى اي حد تنجح عمليات التشويش على الاذاعات او حجز (الفضاء الاقليمي) بشبكة اذاعية محلية ؟ هكذا فان هذه الوسيلة بمنطق العصر هي وشيجة مضافة في حياة الامة العربية . لغتها وموضوعها المشترك ، يجعلان منها ـ رغم التخريب السياسي ذي الاتجاهات الاقليمية ـ عاملا قوميا مضافا لا يفرط في اهميته ...

على مستوى آخر . تتوجه الى الفرد العربي اذاعات عديدة تنطق بالعربية وتصدر عن هيئات رسمية اجنبية ،(١) تسعى لتحقيق اهداف سياسية واضحة . فقد تحولت الجزر الرئيسية في البحر الابيض المتوسط لتكون مراكز ارسال اذاعي موجه الى المنطقة العربية ساهم في السنوات العشر الاخيرة في تحقيق ارتباك حقيقي لدى المستمع العربي ، كما توجه الى منطقة المشرق العربي اذاعات اخرى يقابلها بث آخر موجه الى المغرب العربي . لا يضع في حسابه في افضل الحالات تدعيم هدف قومي او الحرص على حاجة عربية . ان النتائج والاساليب كانت تهدف دائما الى :

انماء النزعات القطرية واثارة الحساسية الطائفية ، تعريض ثقة المواطن العربي بوسائل اعلامه لهزات كبيرة ، اشاعة الافكار والمفاهيم اللبرالية

التي لاتتصل بسعي بعض وسائل الاعلام العربية لمواكبة النمو الاجتماعي والاقتصادي الجديد في بعض اقطار الوطن العربي ، تعريض الجبهة النفسية للمواطن العربي في فترات الحرب مع العدو الصهيوني للاهتزاز وفتح ثغرات كبيرة فيها بدرجات متفاوتة .

ان اهدافا ثلاثة تقف الان في الصدارة من العمل الاذاعي العربي للتصدي للارباك الذي تحدثه الاذاعات الناطقة بالعربية الصادرة عن هيئات اجنبية :

١ ـ تطوير مديات البث العربية على الموجات المتوسطة .

٢ ـ تطوير اساليب العمل الاذاعي .

٣ ـ تطويق مديات بث الاذاعات الموجهة الى الوطن العربي .

اللغة :

اللغة احدى معضلات وسائل الاتصال ، وتعبيراتها المتعددة، وتعقدت هذه المعضلة في الوطن العربي باكتسابها مضاعفات ناجمة عن السياسات الاعلامية القطرية ضيقة الافق والوريث الاستعماري الذي استهدفت اللغة العربية وعرضها للتدجين والمسخ في محاولاته اشاعة اللغات الدخيلة (الفرنسية والاسبانية في المغرب . الفرنسية في الجزائر وتونس

الايطالية في ليبيا . الانكليزية في مصر والعراق والسودان .. الخ) . وما رافق تلك السياسات القطرية والاستعمارية وما لحق بها من برامج منظمة تعهدت بها مؤسسات ثقافية واعلامية في العقود الاخيرة وصنعت غطاءا لها اهدافا ومبررات (حضارية) و (ثقافية) . كما ساهمت الامية في تعميق عزلة « الريف العربي خاصة وقطعات كبيرة من ابناء الشعب العربي » عن اللغة العربية الفصحى وظهرت الى جانب ذلك دعوات مشبوهة قدمت (فصلا كاريكاتيريا) بين اللغة الام واللهجة ، على اساس ان اللغة الفصحى هي (لغة التداول البرجوازي) وان اللهجات المحلية هي (لغة)تداول الفئات الشعبية ..

ازاء صورة بهذا الارتباك والتعقيد يكون على الاذاعة التي تطمح لتادية دور مؤثر في المحيط العربي دور ثقافي وتربوي وسياسي من طراز معقد ذي نتائج متعاكسة قد يؤدي في مراحله الاولى المعقدة الى العزلة خاصة عن الريف ..

في البدء ، الاذاعة تهذب لغة الشعب ، والاذاعة تنقي لغة المجتمع وتطور لغة الجمهور .. لذلك فان انطلاقها مما كائن والابقاء على ما هو كائن وسلبي تراجعي .. والعكس وهو الصحيح ان يكون

هدف هذه الوسيلة الاعلامية المؤثرة تنقية لغة المجتمع وتطويرها ..

لقد سجلت التجربة العراقية نجاحا نسبيا في هذا المجال ، يتركز في اعتماد اللغة الام وسيلة تعبير وحيدة في البرامج الاذاعية « عدا لغة برامج الريف ولغة الاغاني » وقد ادى ذلك الى نتائج مهمة كان من بينها انحسار ظواهر ثقافية شائعة كالشعر الشعبي الذي تحدد انتشاره واصبح امام مفترق الطريق للتحول نحو القصيدة العربية الفصيحة .

تبقى المشكلة او المسالة في الريف .. فمن الخطا ان تعمد الاذاعة الى لغة فصيحة موجهة الى الريف في وقت لم يتكامل فيه مشروع التطور الاجتماعي والتعليمي والصحي في الريف وفي وقت تسعى فيه الاذاعة للوصول الى (الفلاح) لدعم برامج التطور ودفعها باتجاه التعجيل ... امامنا هذه الملاحظات لرسم صورة متكاملة عن المشكلة :

١ ــ اشارت استفتاءات قام بها عدد من الباحثين في معهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني في بغداد الى حالة نفسية خاصة لدى الفلاح العراقي ترتبط بالماضي القريب والبعيد من حياة الريف ، وهي ان اللغة الفصحى هي لغة (الموظف) الذي يمثل (الحكومة) ولهذا

فهي لغة (آمرة) وان استخدامها في حياة (فلاح امي) تعبير عن (الامر) . لذلك فان اعتمادها في المراحل الاولى يشكل خطا اعلاميا وبعثرة للجهود في وقت لم تنته فيه الامية بعد من اوساط الكبار والصغار .

٢ـ ان المهمة الموضوعة امام الاذاعة القومية هي مخاطبة الفلاح العربي في كل مكان . وهذا يعني تعقد المحاولة ، اذ ان الحالة الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية في الريف العربي عامة تعاني من انعزالها عن المدينة وامتداد مسافة بعيدة بين الريف والمدينة لذلك كان تمسك الريف بخصائصه وصار ترددهفي قبول مخاطبة موجهةاليه الا اذا ابتدات من هذه الخصائص.. هذا الى جانب تباين المستويات الاجتماعية والتعليمية في الريف العربي .

٣ـ ان دور الاذاعة في النشر والاخبار والترفيه والتعليم يبقى مرتبطا بنمط وحجم التطور الذي يحصل في الريف ، فمن دون سعي حقيقي لمحو الامية في اوساط الكبار في الريف العربي والنهوض بحياة الفلاح من مختلف جوانبها واختصار المسافة ما بين المدينة والقرية لا تستطيع الاذاعة ان تطور (لغة)

تعاني الحصار والعزل ، ولايمكن للغة التداول ان تتطور ماديات الحياة التي تعبر عنها .. ان الحلول المنتهجة في هذا المجال وفي اطار البدف القومي تتحدد كما يلي :

الخطوة الاولى :

العمل على تنقية اللغة من المفردات الموغلة في التعقيد وخاصة تلك التي ترتبط بمناطق محدودة وعزلها عن التداول في الاذاعة سواء في البرنامج العام او البرنامج الموجه للريف .

الخطوة الثانية :

اعتماد المفردات والتعبيرات الاقرب الى الفصحى تلك التي تتشابه من ريف عربي الى آخر.

الخطوة الثالثة :

تنقية اللهجات من المفردات الدخيلة (الفارسية والانكليزية والتركية والفرنسية والاسبانية والايطالية ..)

الخطوة الرابعة :

القيام بمحاولات جادة لاستقصاء اللهجات الشائعة في الريف العربي والتمسك بما هو مشترك وتريب الى الفصحى واعتماده لغة الاذاعة الموجهة الى الريف في المراحل الاولى .

هذا ما يخص برامج الريف العربي ، اما لغة الاغاني ، فان المشكلة ابلغ منها هناك اذ مازال اعتماد اكثر المفردات موغلة في المحلية قائما بدعوى المحافظة على الفلكلور او الابقاء على الروح الشعبية التي تميز الاغاني ، واعتقد ان حسرا حقيقيا للهجات المحلية لم يتحقق حتى الان .. وما زالت لغة الاغاني تعاني من العزلة داخل القطر الواحد .. فكيف الحال مع الوطن العربي كله ..؟..

التراث :

ان التراث العربي موجود متفق عليه ، اذ الاصل لكل ما هو كائن الان ، وهو قاعدة طبيعية للتوحد والتماسك ، فاي عودة الى الوراء هي اسقاط لحواجز الحاضر المصطنعة.. يقوم هذا المشروع على استعراض انجازات الحضارة العربية من خلال تقديم التراث العربي في محاولة للاحياء عبر الحوار والبناء الدرامي والتسجيلية الوثائقية .. وتقديم حياة العلماء والفلاسفة العرب مع الاخذ بما يلي :

ا ـ التركيز على الانجازات العلمية والعقلية في التراث العربي على اساس ان القيم الجمالية والفنية في الادب العربي القديم قد حظيت باهتمام كاف واذا كان لابد من تقديم التراث الادبي فان هذا المشروع يتناول (الجانب

القيمي) في هذا التراث مؤكدا على (الكرم والاباء والشجاعة والفداء والبطولة والذكاء) باعتبارها قيما عربية سجلها وجسدها التراث الادبي العربي .

ب ـ ان جمهور الاذاعة الاساسي هو (الشباب) ولذلك فان هدف تحقيق تواصل الشباب مع التراث لابد ان يجد له قنوات حيوية في مقدمتها الاذاعة بكل ما تملكه من اساليب مشوقة وجذابة .

ج ـ تحديد فترات للعمل على مديات متوسطة وبعيدة لحساب النتائج المبتغاة .

د ـ ولا بد من القول هنا انه بقدر ما يمثله التراث من موحد طبيعي للوجدان العربي ، فان النتاج الثقافي العربي بمختلف تعبيراته هو الاخر تجسيد للوجدان العربي ، لذلك يكون تقديمه والتركيز على الصفات المشتركة في موضوعاته ومناهجه تعبيرا عن التمسك بهذا الموحد الطبيعي .. الثقافة ..

الحضور في الحياة العربيـة

لم يعد فتح كتاب داخل الاستوديو الاذاعي والمباشرة بقراءته ـ مهما تضمن من معلومات مهمة اوطريفة ـ عملا اذاعيا مستساغا ، وان المبدا الاذاعي البديل هو (الميكرفون في كل مكان) ، فالطريقة الوحيدة التي تختصر المسافات داخل الوطن العربي هي أن يستمتع العربي الى صورة صوتية حية من اماكن مختلفة بعيدة عنه من الوطن في وقت واحد . وان التثقيف بالمعلومات الاقتصادية ، والجغرافية والبشرية والحيوية من الوطن العربي ، هو الاخر على اهميته في البناء الروحي والنفسي ، العربي يبقى عملا قصير النفس مبتورا اذا تم عن طريق تلاوة المعلومات واملائها على المستمع . كما يبدو عملا غير موثوق وغير حي .. ويكون البديل ان تقدم الاذاعة هذه المعلومات من خلال الشخصيات والمسامع الصوتية الحية بتفاصيلها ومتغيراتها .. وهنا نرى ان ا لبعثات الاذاعية الموسمية ليست الحل

النهائي لهذه المشكلة .. فلا بد للاذاعة القومية الطموحة ان تعتمد الى نشر مندوبيها على اوسع نطاق في ارجاء الوطن العربي لتحقيق الاهداف المتوازية التالية :

الاول :

توفير مادة اذاعية حية عن آخر الاحداث والمتغيرات وبادق المعلومات عبر ينابيعها الاصلية .

الثاني :

تعزيز ثقة المواطن العربي بهذه الاذاعة التي تثابر في الوصول اليه ، وفتح الميكرفون امامه ؛ وهو الذي يجعل الاذاعة القومية مؤسسة حاضرة فيحياة المواطن العربي ، وعندئذ سيختارها لتكون منبره ونافذته ..

الثالث :

ان الميكرفون المفتوح دائما عبر الاذاعة حين ينقل صورا صوتية من هنا وهناك من ارجاء الوطن انما ينمي في اعماق المستمع العربي احساسا عميقا بالوحدة وباختصار المسافة وبان الوطن مهما كبر وبعدت اقطاره عن بعضها يظل صغيرا ومتداخلا مع بعضه البعض .

المستقبل

السؤال الطبيعي المقدم هنا : ما هو المستقبل؟ وللاجابة على هذا السؤال لانستطيع ان نفكر الا في اطار السياق الفني المتصاعد للاستحواذ على (المستمع) والتأثير فيه .. ولهذا فان الطريق نحو بناء اذاعة بتوحيد الخطوات العربية وتحقيق اشكال متعددة للتكامل الاذاعي العربي والالتقاء على كل ما هو متفق عليه الى جانب التمازج الكلي المطلوب بين الخبرة الاذاعية العربية .. فاجهزة الاذاعة العربية تواجه مجتمعة تحديا عصريا وتحديا قوميا ، في العصر الذي يشهد ثورة في وسائل الاتصال وقيام المجموعات الاوربية والاسيوية وغيرها لتحقيق توثيق اعلامي ، يكون التوثيق الاذاعي العربي عملا الى جانب لزومه طبيعيا . فتطور وسائل العمل ومناهج التفكير الاذاعي واتساع مديات البث بانفتاح الفضاء وثورة المعلومات من خلال الاف الاحداث اليومية والمعلومات المتراكمة تؤكد لزوم انشاء هيئات

١ ــ ابرز الاذاعات الموجهة الى اقطار الوطن العربي والتي تبث على الموجات المتوسطة هي :
١ ــ اذاعة الكيان الصهيوني .
٢ ــ اذاعة صوت اميركا .
٣ ــ اذاعة لندن .
٤ ــ اذاعات مونت كارلو .
ــ اذاعة موسكو .

←

توثيقية عربية تطور الوضع الراهن لاتحاد اذاعات الدول العربية[٢] وذلك ببناء وحدات توثيق ، متخصصة لتحقيق تكامل الخبرة الاذاعية بالدرجة الاولى...

ان الحقيقة التي يهدد المستقبل بها العمل الاذاعي عبر الراديو هي منافسة التلفزيون الحقيقية للراديو ؛ اذ ان دور الراديو كوسيلة وحيدة للاتصال المباشرة بدون وسيط سينتهي في المستقبل . اذ سيصل الارسال التلفزيوني عبر الاقمار الصناعية الى اجهزة الاستقبال التلفزيوني في البيوت وتنتفي الحاجة الى المحطات الارضية التي تستقبل ارسال هذه الاقمار اولا ثم تعيد ارساله الى المشاهدين وهذه الحقيقة التي ستجعل وصول البث التلفزيوني بالسهولة نفسها التي يصل فيها البث الاذاعي تضعنا امام عمل حقيقي لاستثمار الراديو قبل ان ينتهي عصره الزاهي كوسيلة اتصال سهلة بين مشارق الارض ومغاربها . .

٦ ــ اذاعة قصر شيرين .
اضافة الى اذاعة باريس الموجهة الى اقطار المغرب العربي وتبث معظم الاذاعات الاوربية باللغة العربية على الموجات القصيرة كما تبث الهند والصين واقطار آسيوية اخرى برامج باللغة العربية .
٢ ــ تاسس اتحاد الاذاعات العربية في شباط ١٩٦٩ وهو يضم الان جميع الاقطار العربية .

ومن العبث العمل بانتظار نتائج ايجابية على الموجات الاذاعية القصيرة ، فسيد الاستماع الان هو «الترانستور» واجهزة الراديو في السيارات والعربات ، لذلك فان تركيز الجهد للعمل على الموجات المتوسطة الموجهة وتوسيع مدياتها هو السبيل الحقيقي للوصول الى المستمع خاصة في اطار الوضع الجغرافي للوطن العربي .

انني اعيد في نهاية هذه الدراسة التطبيقية عبارة طالما ترددت بيننا ـ نحن الاذاعيين ـ حول طاقة العمل ، هذه العبارة (السؤال) طرحها احد الاذاعيين الامريكيين (جي هوفر) في الفصل الاول من كتاب عن تنظيم واردات المحطات الاذاعية ونشرته مجلة الفنون الاذاعية .. يقول في اول جملة من حديثه :

(لدى الحديث عن طبيعة العمل الاذاعي يتبادر الى الاذهان السؤال التالي : لماذا لانتمكن من توظيف الطاقة القصوى للعاملين في هذا الوسط الاعلامي ؟)

اعيد السؤال .. مع ادراكي للطبيعة المعقدة والصعبة لاذاعة تطمح ان تكون قومية في زمن تنافس ساخن .

تغير عادة الاستماع والمشاهدة

في العمل الاعلامي لا توجد حقائق مطلقة ولا يمكن الارتكاز الى خلاصات ونتائج اعتبرت مسلمات في مرحلة من مراحل التطور التقني او التطور الاجتماعي ولذلك تنشا كل يوم معضلات جديدة تحتاج الى حلول من نمط خاص يخرج على النتائج المتفق عليها منذ حين .. وهذا التحول طبيعي طبيعة التحولات النفسية والاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية والسياسية في حياة الافراد الذين يتوجه اليهم البث الاذاعي والتلفزيوني ؛ وعندما يكون هذا الوسط الاجتماعي شديد الحساسية كثير التقلبات عندئذ لا يمكن احتساب مراحل تطوره بعقود زمنية متساوية بحيث نلاحظ بروز احداث سريعة تكون على قدر استثنائي من الاهمية رغم ضيق الفسحة الزمنية التي امتدت عليها لكن آثارها تبدو اعمق وابعد من احداث تمر بطيئة وتمتد على مديات زمنية ابعد .. اذن مكتوب العجز والفشل على رجل الاعلام الذي يرتضي لنفسه ان يكون رجل مكتب يسد النوافذ ولا يقلب الا في دفاتر ايام الدراسة وخلاصات العمل من مراحل سابقة ويعتقد خاطئا ان نجاحه في مرحلة سابقة او حاضرة هو ضمان لنجاحه في المستقبل او ان يود اعتقاد خاطىء بأن ثقة المستمع والمشاهد

بمنهاج ما او شخصية معينة هي ثقة دائمة .. ان اسئلة من نوع متشابه تثار امام هيئات الراديو والتلفزيون في كل مكان ...

ولكي يكون عملنا متوازنا مع معرفة الجهة المرسلة للمعلومات بالاوضاع المتغيرة للجهة المستلمة لابد من تسجيل ملاحظات يومية وملاحقة التطورات النفسية والاجتماعية ليس بمعنى اللهاث السلبي وراء مظاهرالتحول ، بل بمعنى استباق التطورات نفسها والتكيف لها بدراسة الفئات التي نستهدفها بأفكارنا ومعلوماتنا التي نبثها عبرالمذياع والتلفزيون ..

السؤال المبهم الذي يثار الآن : هو كيف نعالج مشكلة التغير والتقلب الطبيعي في عادة الاستماع والمشاهدة ومستوى التذوق وضوابطه والمؤثرات الفاعلة فيه ..؟..

ان تغير عادة الاستماع والمشاهدة يرتبط بمؤثرات وظروف عديدة منها :ـ

ا ـ المستوى المعاشي للمتلقي

ان المستوى المعاشي لجهة الاستقبال ، افرادا او جماعات لا يمتثل الى حدود ثابتةساكنة بل يتحول في اطار اقتصادي عام ، لكن الفرد

كوحدة استماع ومشاهدة منفصلة يحدد طريقة استماعه ومشاهدته للراديو والتلفزيون بمستواه المعاشي . ففي كثير من الاوساط الاجتماعية الفقيرة لم يكن متيسرا اقتناء اجهزة التلفزيون الاعتيادية او الاشكال الاكثر تطورا وتعقيدا للراديو ، فتبرز عندئذ اماكن محددة اخرى للاستماع والمشاهدة هي اماكن التجمع الجماهيري (كالمقهى) مثلا ومن المؤكد ان مستوى التفاعل بين الحالتين مختلف تماما (ان الانسان يكون اكثر استعدادا للتقبل في حالة التجمع مع الكتل البشرية) [١] .

اما اذا كان الوضع المعاشي للفرد اعلى مستوى فان مكان الاستماع يعود تدريجيا الى العلاقة الانفرادية بين المتلقي والبث عبر الراديو والتلفزيون. سيكون هناك جهاز راديو في (السيارة) الصغيرة وجهاز آخر تحت مخدة النوم ، عندئذ لابد من حساب حساس لقياس مستوى تطور الامكانات المادية للفرد لتؤهله اختيار وسائل معينة للاستماع الى برامجنا واختيار الاماكن الانسب اليه وآنذاك يمكن تفصيل شرائح الجمهور اقتصاديا وتبويب عملنا على اسس متلائمة مع التحول في مكان

---

١ ـ الدعاية السياسية ، جان ماري دومينالك ، ترجمة جلال فاروق الشريف .

الاستماع والوسيلة المختارة لتلقي اصواتنا ومدى اعتزاز صاحبها بها وتمسكه بهذا الممتلك المادي (الراديو او التلفزيون) على ان اهتمامات الفرد ـ واختياراته النوعية تختلف مع تباين مستويات المعيشة بالضرورة ، ولعلنا لم ننس بعد انه منذ سنوات قريبة كان جهاز المذياع الذي نستخدمه كبير الحجم يعتمد على التيار الكهربائي كمصدر وحيد للتشغيل وكان ذلك يعني عدم امكانية الحصول عليه كجزء من اثاث ومكونات البيت الا في ظروف معاشية معتدلة في اقل تقدير كما لم يكن ممكنا وصول بثنا الى الاماكن التي لم يصلها التيار الكهربائي .. الحال تغيرت الآن ..!

ب ـ اما مقدار العمل المبذول والطاقة الانسانية

التي يجهد بها الفرد الواحد فانها تحدد لنا جانبا آخر من الصورة .. صورة للعلاقة المتغيرة بين الفرد ووسائل البث الاذاعي الموجهة اليه يوميا . واول ما يجب التوقف عنده ، اننا في مجتمعاتنا الناهضة من مظاهر العجز والتخلف لم نحدد الابعاد النهائية لعلاقات العمل والانتاج من جهة ولم يتحدد دور الفرد بما يتوازى مع طاقته الحقيقية من جهة اخرى . اي اننا في مرحلة انتقال تتسم بالقلق والتغير السريع وعدم التوازن احيانا .. وينطبق

هذا الكلام على عموم مجتمعات العالم الثالث حيث تعم حركة تطور اجتماعي واقتصادي وثقافي متفاوتة المستويات ، واذا اردنا ان نحسب الساعات الافضل في التوجة الى قطاع فئوي محدد من المستمعين او المشاهدين كان لابد من تقدير ساعات العمل مع ساعات الراحة وهذا التقسيم ليس واضحا في اوضاع اجتماعية غير متبلورة تماما وعند افراد لا يمتلكون خريطة عمل يومي مفصلة ومحددة بالدقائق .. ان المشكلة هنا هي مشكلة الزمن الضائع في حياة الفرد ، وسيكون من التجاهل لحقائق واقعة ان نلغي ساعات العمل كلها لنقول ان الفئات التي تعمل لا تتلقى بثنا عبر الراديو مثلا ، لانه في مثل اوضاعنا الاجتماعية الحساسة كثيرا ما نرى ان ساعة العمل تكون ساعة استماع الى الراديو ايضا ، وبالمقابل فان المجتمعات الاكثر اندفاعا الى التقدم والنمو تشهد تداخل ساعات العمل بساعات الراحة حيث يبذل الفرد طاقة اكبر في العمل بحيث تنقص ساعات الراحة والاسترخاء او الساعات التي يمكن ان نقول انه (ربما سيستمع الى المذياع) ..

اذا اردنا اذن توجيه البرامج لقطاعات عاملة لابد من دراسة اوضاعها في العمل وطبيعة التنظيم ومستواه في حياتها العملية على ان لا تكون هذه

الخطط نهائية بل يكون من المناسب العودة دائما لاعادة النظر فيها مع اعادة دراسة الوضع الاجتماعي نفسه ، اما الامر الاكثر اهمية هنا فيتعلق بسؤال مهم :

ماهو مقدار ما يستطيع الفرد استيعابه من الافكار والمعلومات وما مدى قدرته على الاستماع ؟

وللاجابة عن هذا السؤال المركزي نعود الى المخاطر المحتملة على الجهاز العصبي المركزي (٢) ومقدار تحمله في استيعاب المعلومات المبثوثة اليه وهذا الامر يتصل مباشرة بساعات العمل والطاقة المبذولة يوميا ، بدنيا او فكريا ، هنا ايضا .. تتغير عادة الاستماع من فصل الى آخر ومن نوع عمل الى آخر وتتغير عادة الاستماع مع مقدار الارهاق الذي يختلف مع تغير اداة العمل سواء كانت تعتمد على طاقة الفرد المشتغل او تعتمد التشغيل الذاتي ولا تحتاج الا الى رقابة بعيدة .. عبر هذه المداخلات كلها وهي مداخلات متحولة متغيرة من حين الى آخر نريد ان نمسك بجمهورنا ونتوجه اليه !

٢ ـ هناك معالجة للموضوع في مكان لاحق من الكتاب .

جـ ـ المستوى التعليمي

لابد من رموز للتفاهم بين جهة الارسال وجهة التلقي ، هذه الرموز هي اللغة كعنصر اساس ـ الى جانب المؤثرات والرموز الجانبية الاخرى ولكي يتحقق الاتصال بين قطبي الاتصال : الارسال والتلقي ، لابد من معرفة خصائص رموز التفاهم هذه قبل ان نبحث في القدرة على تفهم المعلومات والافكار خاصة المعقدة منها وهضمها .. وآنذاك تقدر الصعوبات البالغة في العمل الاذاعي والتلفزيوني في مجتمعات يزيد عدد الاميين فيها على نصف الافراد كما هو الحال في معظم الاقطار التي سادت فيها قرون من القهر والاستعمار ومنها الاقطار العربية وكثيرا ما عمدت ادارات الانتاج التلفزيوني الى (دبلجة) الافلام الناطقة بلغات اخرى الى لغة التداول اليومي كما نجد هيئات اذاعية اخرى تلتزم البث باللهجات المتداولة وتعتبر ذلك مرحلة لابد منها قبل تعميم اللغة القومية باصولها النقية السليمة لان ذلك يرتبط بالنسبة المرتفعة للامية في مجتمعات محددة وعلى هذا الاساس تكون بداية التحول هي مرافقة العمل القومي لازالة الامية ومحوها من المجتمع ، ولا يتم ذلك في المعتاد الا في مراحل زمنية تمتد سنينا وتشمل فئات عمرية متفاوتة وتستلزم جهودا قومية كبيرة واستثنائية

فتوضع خطة عبر المذياع والتلفزيون على اسس واقعية ومنطقية الهدف الرئيس هو الاتصال ، اذن ينبغي تطويع اساليب العمل ومفرداته على هذا الاساس ، والمهمة الاصعب تكون في تحقيق موازنة يومية دقيقة ، يومية بمعنى تحسس مظاهر التحول في ادق اجزائها للمحافظة على الهدف الرئيس الاخر وهو : الارتفاع بالمستوى الثقافي والمحافظة على الاصول النقية للمفردة الفصيحة الام .

اما المراحل التالية للمستوى التعليمي والثقافي للمشاهدين والمستمعين فتتصل بعملنا الجديد فحوى المعلومات الفكرية والاسس التي تستند عليها للاقناع والتاثير الى اقصى الحدود ، كيف نقدم وحدات برامجية تستهدف جميع الشرائح التعليمية ؟ وكيف نحدد اهدافنا مع كل فئة حسب مستوياتها الثقافية والتعليمية .. هذا بلا شك ، هدف هلامي ،جميل في التصور النظري المجرد ، لكنه يكاد يستحيل عمليا .. لان قدرة الادراك متباينة كما هو متباين حجم المعلومات ـ المختزلة لدى كل فرد .

وها نحن ندرك الان في تجاربنا العملية ان مستوى الادراك وحجم المعلومات المختزلة مرتبط بعمليات التطوير الاجتماعي والثقافي للافراد ..

وعلينا ان نحقق في آن معا مهمتين ، الاولى : المساهمة الايجابية في دفع عملية التوعية وتطوير مستويات الادراك والمعرفة الادنى الى امام .

والثانية : تحسس مستوى التغيير الثقافي الذي يؤثر بشكل رئيس في تغير عادة الاستماع .

د ـ تغير القيم الاجتماعية والاخلاقية

ان المشكلة الاكثر اهمية وحيوية هنا ، هي مشكلة التغير في القيم الاجتماعية السائدة ... ففي مثل مجتمعاتنا التي تعيش فترات انتقال وتعاني من عدم تبلور اوضاع نهائية في القيم السائدة يصبح امرا مهما ان نلاحق النقلات القيمية ونرصد نبضها بدقة ورهافة لنستطيع من خلال برامجنا الموجهة عبر المذياع والتلفزيون تحديد موقفنا ودورنا في استيعاب هذه القيم او التصدي لظواهر سلبية فيها نجدها خطرا على مستقبل التطور الاجتماعي والاخلاقي .. وبات ضروريا ان نقول ان الارتكان الى مسلمات كانت مقبولة في قيم المجتمع منذ حين والسكون الى معايير اخلاقية معينة سيؤدي الى جمود دور هذا الجهاز الحيوي في حياة المجتمع وبمكن التواصل مع القيم الجديدة بمحتوى منهاج الراديو والتلفزيون والمعالجات الاجتماعيةوالاخلاقية

واساليب العمل وشكل الصلة مع اهتمامات الناس ومشكلات حياتهم . وهذا الامر ينصب بالدرجة الاولى على الكتاب والمخرجين الذين يحددون في ساعات تنفيذ اعمالهم تفاصيل دقيقة من الحياة تعرض هذا الجانب الاخلاقي والقيمي بنفس القدر من المسؤولية التي تنصب على رجال التخطيط والاشراف .

ان تحديد هذه العوامل كمؤثرات اساسية تفرزها قوانين التحول الاجتماعي والاقتصادي لترسم شكل الصلة بين جهة الارسال وجهة الاستقبال عبر المذياع والتلفزيون لايلغي جملة من المؤثرات ، الجانبية التي لا تنفصل من حيث مكوناتها ونتائجها عن القوانين الرئيسية فمستوى ما تتمتع به المراة في مجتمع ما من حقوق اجتماعية وثقافية وسياسية والمستوى الصحي للافراد وحلول قيم حديثة على انقاض القيم العشائرية والقبلية وانتظام العطلة الاسبوعية ومستوى التطور الصناعي وانتشار الكهرباء في عموم مناطق الاستماع والمشاهدة (٠٠٠) هذه العوامل تؤثر سلبا وايجابا في تحديد حجم الاستماع والمشاهدة من جهة وتحديد سرعة او بطء عادة الاستماع وانتخاب الوحدات البرامجية حسب كل فئة من فئات الجمهور .

على هذا كله ، تلعب عمليات استقصاء اراء الجمهور بشكل دوري وانتخاب عناصر متفرقة متنوعة من المشاهدين والمستمعين وباساليب قياس الراي العام (٣) المعروفة للتوصل الى المستويات الثقافية المتغيرة والنقلات الحاصلة ضمن قوانين التحول ويقتضي ذلك مستوى عاليا من التحليل ـ اذ لم يعد كافيا تقديم استقصاء واجراء استفتاءات لقياس الراي دون ان يقف على خلاصات هذه العمليات محللون جيدون يتصل عملهم بمعرفة العوامل المؤثرة في تحديد الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للافراد واستشراف صورة المستقبل في هذه الاوضاع لذلك لابد ان ينهض بهذا الدور رجال من نمط خاص يضعون اسس التخطيط البرامجي في المذياع والتلفزيون وتكون خلاصات اعمالهم اساسا للعمل المنظم المبرمج الذي يتصدى للمشكلات الناشئة وفي مقدمتها مشكلة تغير عادة الاستماع والمشاهدة . من دون هذه الخطوة سيقرا رجال التخطيط عبر المذياع والتلفزيون في الغيب ويكون عملهم صحيحا بالصدفة وغير صحيح بالضرورة .

---

٣ ـ مجلة الفنون الاذاعية ـ العدد ١٤ كانون الاول ١٩٧٧ ـ بغداد الدكتور مصباح محمد محمود ـ قياس الراي (اساليبه ووسائله) .

خيارات مشاهد التلفزيون

ومشكلات المستقبل

من المسائل الملحة التي تثار امام هيئات الراديو والتلفزيون في بلدان العالم الثالث ، مسالة توفير ، عدة خيارات امام المجتمع والمشاهد او اعطاؤه خيار واحد في اطار التثقيف والتوعية السياسية والفكرية المركزية التي يبتغى الوصول اليها ... وتطرح اسئلة عديدة : الى اي حد يجب ان تعطى حرية الاختيار .. ولاي جمهور ..؟ .. وما هي الضوابط التربوية والثقافية اللازمة وستصبح هذه المسالة اكثر عسرا وتعقيدا في المستقبل عندما تنشا ظروف جديدة للاستماع والمشاهدة يكون الاختيار فيها قائما بشكل طبيعي مع اتساع مديات البث وتغطية العالم بشبكات الاقمار الصناعية والاستغناء عن المحطات الارضية التي تدار مركزيا ، على ان هذه المعضلة قائمة الان في حدود البث التلفزيوني على اكثر من قناة من

قبل هيئة مركزية واحدة ... ومن المناسب ان نوضح في البدء ان الامر في الراديو يختلف عنه في التلفزيون لسبب ان احد اسس تطوير العمل في الراديو كان اللجوء الى تنويع الخدمة البرامجية لتشمل جميع فئات المستمعين وتلبي حاجاتهم ؛ وعلى اساس ان مستمع الراديو اقل تركيزا من مشاهد التلفزيون ، وهو مستمع بالصدفة وقلما يكون مواظبا بسبب كثرة الخيارات الممنوحة له على الهواء ، لذلك فان السياق الذي نريد ان ، نسلكه يتعلق بعمل التلفزيون ومشكلة توفير خيارات عديدة امام المشاهد ؛ فالامر مهم في هذا الجهاز على اساس ان مشاهد الشاشة اكثر تركيزا واكثر مواظبة ، وان هذا الجهاز اعمق تاثيرا في الخلية الاجتماعية عقائديا وتربويا واجتماعيا ، لذلك فان الاثار الناشئة عنه ستكون ابلغ اهمية وخطورة وهي تتجاوز حدود الاخبار والترفيه ..

وفي هذا الاطار ، امامنا ـ كنموذج ـ حالة بعينها .. فقد دارت مناقشات عديدة حول التمييز والتنوع بين الخدمات البرامجية المقدمة من قناتي البث التلفزيوني في العراق ، وانصب ذلك النقاش على الاشكال والمضامين انطلاقا من ضرورة رسم شخصية متميزة لكل قناة وهذا ـ اساسا ـ هو مبرر وجود قناتين .

امامنا وجهتا نظر ، تقول الاولى : ان منح المشاهد حرية الاختيار بين نوعين مختلفين من ، البرامج على كل قناة في وقت واحد (ترفيهي ، وثقافي) (منوع وسياسي) ؛ وهكذا ، هو الاساس السليم الذي يحقق تنوع الخدمة ويتجاوب مع واقع التفاوت التعليمي والاجتماعي والذوقي ، لدى فئات المشاهدين .

وجهة النظر الثانية تقول : ان عملنا هادف ولاجل ذلك قد نتخلى عن بعض المبادىء التقليدية في العمل .. فطبيعة مرحلة البناء الثقافي والاجتماعي والسياسي تقتضي اعتماد مبدأ (تسييس) البرامج بحيث تقدم في وقت واحد على القناتين برامج من فئة واحدة (سياسية وثقافية) مثلا ، وعدم وضع مادة برامجية ترفيهية امام برنامج هاف وجاد سياسيا او ثقافيا . وانه لابد من اعطاء جرعات في التوعية هي مهمة وضرورية ولازمة في مجتمع يمر في اكثر مراحل النهوض حساسية وخطورة لذلك يجب تركيز المشاهدة عند تقديم برنامج هادف وعدم تشتيت المشاهد في ذلك الوقت ..

امام هاتين المعالجتين لابد من العودة الى الاهداف الاجتماعية والسياسية المركزية اولا

والى خواص العمل التلفزيوني ثانيا .. فمن حيث الاهداف تشكل مسالة التنمية الثقافية والاجتماعية احدى المعضلات التي تواجه مجتمعات العالم الثالث ، وهي اكثر الحاحا في بلد كالعراق تنفذ فيه اشمل واكبر برامج التنمية التي تضع في مرتكزات فلسفتها تحقيق هدف تنمية الانسان ثقافيا واجتماعيا واخلاقيا ، وهذا يضع امام جهاز حيوي كالتلفزيون مسؤولية النهوض المواكب للتنمية المادية في حياة المجتمع ، وفي مثل الحالة الراهنة تبرز مسالة تحصين الفرد ضد التيارات الفكرية والاجتماعية التي تشكل عوامل احباط في مسيرة البناء وهي التيارات التي نصفها بانها من بقايا الفكر الاقطاعي والرجعي والبرجوازي والشوفيني والاقليمي ، وللوصول الى مستوى واق من الحصانة ضد هذه التيارات التي قد تتسرب مفاهيمها في تفاصيل صغيرة وجزئية في العمل الاعلامي والثقافي لابد من تركيز وتكثيف الخدمة المباشرة في مجال التوعية بمضمونها الشامل ، الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي .. هذا من حيث الاهداف ، اما من حيث خصوصية العمل في التلفزيون فان الامر يكون اكثر تعقيدا اذا كنا مؤمنين بفكرة ان العمل الفاشل فنيا هو عمل فاشل في الوصول الى اهدافه في التوعية والتثقيف،

ولذلك لابد في حالة تعليق مبدأ توفير خيارين او اكثر امام المشاهد ان تتطور الاشكال والاساليب الى مستوى يرتقي بالمادة الثقافية والسياسية ويوفر فيها عوامل الجذب والاستحواذ ..

متى يعطى الاختيار .. ولمن ..؟

ان المعالجة الواقعية خارج اطار التعميمات النظرية المجردة ترجع وجهة النظر الثانية القائلة بالتسييس والتثقيف في المرحلة الراهنة من مراحل التطور الاجتماعي . اننا نقر ان شخصية الفرد ـ على ما تحقق من تطور نسبي في الوعي ـ ما زالت وفي قطاعات واسعة غير متبلورة الى الحد الذي يوفر الحصانة العالية اولا ؛ والقدرة الدقيقة على الاختيار خاصة لدى الاوساط الاقل مستوى في حياتها التعليمية والاجتماعية والثقافية ، لذلك فان الخطط الوطنية العامة للتثقيف والتوعية تمر الآن باكثر مراحلها حيوية ونشاطا ابتداء من العمل الوطني الشامل لمحو الامية مرورا بالتعليم الالزامي لكل طفل بلغ السادسة من العمر حتى أعلى مستويات التعليم وفي مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية والفنية والاعلامية ... واعتمادا على ان التلفزيون هو احدى الوسائل التي تسهم بفاعلية في خلق العادات والقيم الجديدة ؛ لابد من تركيز

الخدمة التي تؤدي هذه المهمة .. فخلق العادات الجديدة هو جزء من السعي لبلورة شخصية الفرد .. ولذلك من هو اجدر من التلفزيون مثلا في خلق عادات جديدة في مجال تحبيب العلم واحترامه وتشجيع القراءة و سماء روح الاكتشاف والابتكار واحلال قيمة ان تطور الفرد يقاس بتطور وعيه وثقافته ... هذا كله لا يمكن ان يتأسس كقيم في المعايير الجديدة دون تكرار التوعية على منواله من خلال واحد من اكثر الاجهزة تأثيرا هو التلفزيون ، لان عادة الاستماع والمشاهدة لبرنامج غنائي ترفيهي راقص ليست هدفا اجتماعيا او تربويا او ثقافيا نحتاج الوصول اليه ؛ بل ان الهدف هو ان نصل لرفع مستوى تذوق هذه الانماط ذاتها من الفنون عندما نرفع مستوى الوعي ونكثف المعلومات المختزنة لدى الفرد المستمع والمشاهد ...

اننا اذا ما قطعنا هذه المرحلة .. مرحلة التنمية الثقافية الشاملة وبناء العادات الجديدة وبلورة شخصية المتلقي حضاريا وتحصينه ضد التيارات الفكرية الهدامة بالمستوى الذي يؤهل للاختيار السليم ... آنذاك تكون العودة الى المبدأ التقليدي الذي تتضمنه وجهة النظر الاولى القائلة بتوفير الخيارات العديدة امام المشاهد كواحد من اهداف التلفزيون (تنويع الخدمة البرامجية ..)

... ومن دون هذا التسلسل وارتباط التخطيط لمستقبل التلفزيون بالتخطيط العام في المجتمع نكون قد اوقعنا انفسنا في مطب نظري مجرد لا ينسجم مع طبيعة المشكلات الواقعية ..

مشكلة عالمية مقبلة

● اما الامر الاكثر عسرا فيتعلق بما ينتظرنا في المستقبل عندما سيكون بالامكان استلام البث التلفزيوني باجهزة الاستلام في دورنا من اماكن بعيدة وهي تحمل برامج هيئات تلفزيونية اجنبية ...

هل هذا ممكن ... وما هو الحل ..؟

هندسيا ، التوقعات ترجح امكانية الوصول الى هذا الواقع عندما يتم الاستغناء عن المحطات الارضية في كل بلد بحيث يمكن استلام البث من اماكن بعيدة بمجرد لمس زر جهاز التلفزيون ..

اما سياسيا ، فالامر يختلف ، اذ لا يعقل ان يكون ذلك مسموحا به لدى معظم دول العالم ، لانه ليس من مصلحة احد ان يسمح بتطور الامور الى هذا الحد .. وكمثال على ذلك يمكن قياس الامر كما يواجهه الاوربيون ... فرغم ما نلمسه من تنسيق في سياسات واقتصاديات الدول الاوربية

وما يمكن ملاحظته من تماثل في النظم الاجتماعية والاقتصادية السائدة فيها راينا ان اعضاء اجتماع لجنة البرامج الاذاعية في الدورة السابعة والعشرين لاتحاد اذاعات الدول الاوربية الذي حضرناه في جنيف اواخر عام ١٩٧٧ قابلوا هذه المسالة عندما عرضت للبحث بعبارة « ان هذا الامر غير مسموح به سياسيا .. » .

ان ما يسمى بـ (التلفزيون العالمي) للدلالة على التبادل الواسع في مجال البث البرامجي عبر القارات كان يجابه واقعيا عدة مشكلات جعلته مجرد وهم ، منها مشكلة اللغة وتباين وجهات النظر السياسية واختلاف الاعراف القانونية وعدم تماثل انظمة التمويل المالي الى جانب اختلافات تفصيلية عديدة ... رغم هذا كله يجب عدم التخلي عن السؤال الملح : ماذا لو حصل ذلك ... وهل من بديل ..؟

لقد حاولت بعض الدول التصدي لبث هيئات اذاعية معينة بانتهاج طريق التشويش على موجاتها وبخاصة المتوسطة لمنع استلام بثها بشكل واضح

في محاولة لتحويل اهتمام المستمع عن تلك الاذاعات وقد اكدت تجارب سنوات طويلة ان هذه الطريقة كانت تحمل في ابعادها مردودا سياسيا معاكسا ينبع من رغبة المستمع في اللهاث وراء كل ما هو ممنوع ، ولذلك كان بالامكان التحول الى الموجات القصيرة .. ولا يمكن ان نتصور اساسا ان التشويش في مجال التلفزيون هو اسلوب مفيد في مواجهة تحديات المستقبل رغم عدم وجود فرص عديدة للمشاهد كما هو الحال في الراديو (تعدد البث على موجات متوسطة وقصيرة) . كما ان بعض التجارب التي انتهجتها دول اخرى في التصدي للبث الاذاعي من خارج اقطارها بقيت محدودة كما هو الحال في صناعة اجهزة استلام الراديو يتوقف الاستماع فيها على المحطات المحلية والقومية على غرار تجربة الاتحاد السوفيتي ..

ان الحقيقة الامثل التي يمكن التشبث بها قبل الحديث عن البدائل .. هي ان التطور التقني المقبل لن يكون حكرا على احد دون اخر .. كما ان هذا التطور تقنيا سيرافقه تقدم ونمو في مجال

الخدمة البرامجية وتتلازم معه حركة انماء ثقافي واجتماعي شامل لبلدان العالم الثالث التي يهددها الغزو الثقافي الذي قد يجد في التلفزيون طريقا جديدة في الوصول الى الاهداف التي عجز عن الوصول اليها بوسائله القديمة ، وسيوفر هذا النمو الثقافي والاجتماعي وذلك التقدم التقني والارتفاع في مستوى الخدمة البرامجية الى توفير مستوى اعلى من التحصن والتصدي ازاء ما يمكن ان تواجهه مجتمعات العالم الجديد .. نقول هذا، مؤكدا ، على واقع ان المستوى العام للخدمة البرامجية لهذه البلدان في الوقت الحاضر هو فعلا دون مستوى الخدمة التي تقدمها هيئات التلفزيون المتقدمة من حيث اساليب العمل وتوفير عوامل الجذب حتى بالوسائل الراسمالية المعروفة .. واقول هذا آملا في ان التنبيه الى مشكلات المستقبل يشكل عامل ارادة مضافا للتقدم والتطور الى امام .

احد البدائل : التلفزيون القابلوي

يمكن التنويه الى طريقة يسهل انتهاجها لملء قنوات اجهزة الاستلام التلفزيونية التي تتلقى البث المحلي والخارجي ، بتوفير خدمات برامجية

محلية وقومية في مناطق معينة عبر (التلفزيون القابلوي) ، الذي يمكن ان يكون التلفزيون التربوي في العراق مثلا احدى روافده الرئيسة في حالة تحقيق نقلة نوعية في مستوى خدماته البرامجية شكلا ومضمونا بما يتناسب مع اهتمامات الطلبة والهيئات التدريسية .

والتلفزيون القابلوي ، تجربة معمول بها حاليا في عدة بلدان لخدمة فئات اجتماعية معينة او مناطق محددة ، وقد بلغ عدد المستفيدين من هذه الخدمات في كندا ٢٥٪ من السكان وفي بلجيكا ٢٠٪ من السكان ... ويتم البث التلفزيوني[1] عبر انابيب او من خلال الاسلاك وقد انتشر في المناطق التي تكون فيها الخدمة البرامجية العامة على الهواء ضعيفة ، ويوفر البث عبر (القابلوات) اثني عشر خدمة برامجية عبر اثني عشر قناة بين يدي المشاهد وآنذاك يكون قد تم ملء جميع قنوات الاستلام بحيث لا يكون هناك منافس من الخارج، ومن حسنات البث عبر الانابيب والقابلوات انه يكون واضحا ولا يتاثر بالتشويش .

(١) استخدامات شبكة القابلوات المحورية لتوصيل البرامج التلفزيونية (التلفزيون القابلوي) ـ مجلة (الفنون الاذاعية) . العدد الثاني ـ كانون الثاني ١٩٧٣ .

يكون للبث مركز استعلامات في كل منطقة ينظم تلبية حاجات المشتركين من المشاهدين الذين يتصلون سلكيا بهذا المركز وبمجرد طلب اي رقم يمكن الحصول على انواع محددة من الخدمات ، في مجال تدريس الطلبة حيث يمكن تركيب حاسبة الكترونية تعطي الاجابات مباشرة . ويمكن استخدامه في مجال الطب وفي الحصول على المعلومات التي تخص الحياة اليومية ، بخاصة في مجال حركة القطارات والطائرات والصيدليات الخافرة واحوال الطقس وتتطور هذه الخدمات اذا ماارد نا لتقديم معلومات في الاحداث السياسية التي تقع يوميا وفي مجال التثقيف العام والخدمات البرامجية المسلية والمنوعة .

مخاطر محتملة على الجهـــاز العصبي للمتلقي

لابد من ملاحظة حقيقة اساسية في تاريـخ العمل الاذاعي وهي ان التطورات التقنية والبرامجية قد سارت بشكل مخيف في سرعته ، فخلال (١١٢) سنة فقط تحولت فكرة صغيرة تنبأ بها عالـم طبيعيات انكليزي بوجود الموجات الكهرومغناطيسية الى واقع مثير يشهد تطورا (الفعل) الاعلامـي الاخباري للراديو ليصل الى ما يحفل به اليوم من فلسفات اعلامية للراديو وبرامج عمـل وخطط للاتصال .. ان هذه الوتيرة من التطور تستحق ان نصفها بانها نمط من التطور الذي يشعرنا بخشية العجز عن التصدي للمخاطر والسلبيات المرافقة وخاصة ما يتعلق منها بالآثار المحتملة التى تلحق بجمهور المتلقين . ان التطور يوحي ايحاءا عميقـا باننا قد لا ننجح لمعالجة المشكلات بالسرعة التي تحصل فيه هذه الاضافات والمتغيرات ..

ان كل يوم يمر يشهد انفجار مزيـد من البراكين في عالم الانفعالات حيث يفاجيء فريق فريقا آخر بابتكارات ووسائل واساليب جديـدة لبث مزيد من المعلومات المعبرة عن قيم بعينهـا لخدمة اهداف سياسية واقتصادية وحضارية محددة .. لذلك اصبح مستقبل المجتمع الانساني محفوفا بتخوف شديد ليس من جانب الاعلاميين والتقنيين الذين يصعدون ثورة وسائل الاتصال

---

(١) عام ١٨٦٥ تنبأ عالم الطبيعيات الانكليزي (جيمس كلارك ماكسويل) بوجود الموجات الكهرومغناطيسية وقد اثبت العالم الالماني (هينريش هيرتز) عام ١٨٨٥ صحة نظرية ماكسويل وقام خلال عشر سنوات باجـراء التجارب على طرق انتـاج الموجات الكهرومغناطيسية . وكانت تلك المحاولات مقدمة لما حققه الايطالي (جوجليلمو ماركوني) منذ عام ١٨٩٤ ثم عام ١٨٩٥ عندما اجرى تجربة لارسال اشارات لاسلكية عن طريق راديو تلغراف . وفي عام ١٩٠١ استمع ماركوني الى رسالة بعث بها عبر الاطلنطي مـن محطة ارسال في كورنوول في انكلترة الى سان جـون في نيو فوندلاند من (كتاب الاذاعة بالراديـو والتلفزيون) تاليف : كينجسون وكاوميل ورالف ليلي ، ترجمة نبيل بدر .

لبث مزيد من المعلومات(٢) ، بل من اخصائيين يعالجون موضوعات اخرى من حياة الانسان وطبيعة علاقته بوسائل الاتصال التي تلاحقه في كل مجال من مجالات حياته اليومية . ان كل مساحة في (جغرافية) الفرد المعاصر محاطة بحصار اعلامي تثقيفي عبر وسائل شتى للاتصال ، ان الذي يجعلنا نذهب الى هذا التنبيه حول المخاطر التي تصيب جوانب نفسية وعصبية وبايولوجية من المتلقي هي المؤشرات الراهنة والسباق الخارق للاستحواذ على المستمع والمشاهد ومحاصرته بوفرة من المعلومات المبثوثة عبر وسائل سريعة التطور ومتعددة الاشكال . ولا شك ان النتائج المحتملة على الجوانب النفسية والعصبية ستؤدي الى ردود فعل سلبية معاكسة للفعل الاعلامي الذي يراد له ان يؤثر على انسان مجتمع الاتصالات المعاصر . وعلى هذا فان احدى مجموعات العمل التي تكونت في ندوة (الاذاعة في الثمانينات) التي انعقدت في اوتاوا بكندا عام ١٩٧٦ ذهبت للتحذير

(٢) لا يقصد بالمعلومات نشرات الانباء القومية والعالمية حسب بل يضاف الى ذلك كل المعلومات المقدمة من خلال الراديو في برامج الخدمات والبرامج التعليمية والثقافية والصحية والسياسية والوثائقية .. الخ . كما عرفها كذلك (كتاب الاذاعة في الثمانينات) الجزء الثاني .

من : « ان المستمع يملك وسائل دفاعه الخاصة لانه هو الذي يدير مفتاح جهاز الاستقبال ولذلك فان على المنظمات الاذاعية ان تفكر في جماهيرها وردود فعلها المحتملة وتضع حساباتها تبعا لذلك . »

ان اولى المخاوف ترجع الى ان المخططين في اجهزة الاتصال وبخاصة (الراديو والتلفزيون) لا يقدرون المخاطر اللاحقة بالجهاز العصبي المركزي لذلك نرى ان ندوة استوكهولم لسكرتارية دراسات المستقبل عام ١٩٧٤ كانت تدعو لوضع كوابح وضوابط امام رجال الاتصال لحماية الجوانب العصبية والنفسية لدى جمهور المتلقين(٣) .

(٣) يقول الدكتور نوري جعفر في الصفحة (٩١) من كتابه الجهاز العصبي المركزي ـ مطبعة الزهراء ـ بغداد ١٩٧١ :

« المنظومة الاشارية اللغوية في الدماغ التي يتفرد بها الانسان لارتباطها بالفكر الانساني الذي اوضح صفاته التجريد والتعميم ـ

abstraction and generalization

هذه المنظومة الفسلجية تعتريها الاضطرابات البايولوجية اما بتاثير اشارات داخلية ، وهي مؤلفة من المراكز المخية اللغوية وجهاز النطق وخواص تشريحية وفسلجية اخرى تتعلق بجهاز السمع فيما يتصل بسماع الكلمات وتتعلق ←

وتدل الرؤية الموضوعيـــة على ان المصفـاة الطبيعية التي تلقي بشوائب العمل وتبعد مخاطره هي اللجوء الى (التخطيط) ووضع هذه المخاطـر نصب اعين رجال الاتصال على تباين مواقعهم بين ادنى موقع امام الميكرفون وعلى الشاشة حتى اعلى مستويات القادة الاعلاميين والمخططين ..

ولا يمكن للتخطيط ان يكتسب (علميتـه) وان يحقق نتائج مفيـــدة دون الاستنـــاد الـى الاحصاءات المنظمة والدراسات الميدانية والمعرفـة الدقيقة في طبيعة الجهاز العصبي المركزي ومـدى تحمله قبل ان (ينهار) فنفقد كل شيء .

وبقدر ما تتصل المخاطر التي يجري التنبيه حولها بالتخطيط عندما تكون المعادلة ، الحصانة = التخطيط فان المسالة تاخذ شكلها الحاد في الاذاعة والتلفزيون .. والاخير مشكلته اكثر حدة .

ثمة اسطورة المانية عن مارد خرافي جبار حل باحدى القرى فهدم فيها ما راى وحطـم كل ما مر عليه ، وعندئذ تشاور الحكماء والعقـلاء في كيفية محاصرة هذا المارد فقرروا ان يركبوا لـه

بجهاز البصر فيما تتعلق بقراءة الرموز اللغوية المكتوبـة ومن اللغة ذاتها من حيث محتواها الذي يعبر عن نفسـه على هيئة اشارات صوتية خاصة عند النطق بالكلمات».

عقلا في راسه عندما كان يغط في نومه .. ومنـذ ذلك الحين صار المارد القوي طيعا مرنا يعمـل في خدمة اهل القرية يساعدهم في اعمالهـم ويداعب اطفالهم ويبني معهم دورهم ويحصد في حقولهم(٤)، هكذا اذن ، فتحجيم المارد ووضع عقـل له جاءنا بالحل وانقذنا من الهلع .. وحاله حال التلفزيون الذي لا يمكن تفويت الفرص امام الهيجانات المضرة المدمرة في حياة مشاهديه والمتفاعلين مع اشعاعاته الا بـ (التخطيط) . وعلينا ان ناخذ بالاعتبـار ان الراديو والتلفزيون يتميزان بكونهما يشبعان حاجة طبيعية لدى الفرد في الاتصال والاتحاد مع ابنـاء جنسه . ولابد لاجل ذلك ان يكون وسيلة بنـاء اجتماعي مضافة وفعالة وليس العكس ..

والواقع ان معرفة التاثير العصبي والنفـسي والبايولوجي يحتاج الى دراســات واحصـاءات لا تتوفر في اقطارنا الناهضة ولكن الحجم الملحوظ لفعاليات وسائل الاعلام تجعلنا نشعر بان مخاطرها لم تعد على الابواب انما دخلت بيوتنا وهي تسكن في الحجر الاخيرة من هذه البيـــوت . فالقصف الاعلامي اليومي يوغل في تاثيره في الجانب النفـسي

(٤) سعد لبيب : التخطيط الاذاعي ـ اصدار معهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني ـ بغداد ١٩٧٣ .

والعصبي بتلاحقه وتكراره ، حتى لقد جاءت احدى احصائيات الرابطة الاميركية لوكالات الاعلانات (والتلفزيون الاميركي خاضع للاعلان التجاري اساسا) .. تقول : ان كل اميركي يتلقى يوميا (١٦٠٠) قذيفة اعلانية ، وهذا الحجم من الفعالية الموجهة الى الفرد ستصيب اجهزة التلقي وتعطل حيويتها بلا شك .. بل ستنشأ مشكلة اعوص هي : ما هي امكانية التلقي لدى الفرد ومدى قدرته على الاستيعاب ..؟ وقبل ان اجيب على هذا السؤال ، اذكر في مجال مسالة التخطيط ، ان هذه الكلمة مطاطة للغاية خاصة عندما تكون بين ايدي رجل الاعلام ولذلك لم تعد مثيرة او جذابة على الاقل في مؤسسات لم تتوفر على برامج تخطيطية حقيقية تعطي نتائج ملموسة . ولقد فاجأتني احدى المتدربات في معهد التدريب الاذاعي والتلفزيوني في بغداد عندما لمحت لي بهذه الفكرة وارادت ان اعطيها نموذجا لكيفية الموازنة بين المحافظة على الجانب العصبي والبايولوجي لدى الانسان والخطة المقصودة ... هنا يمكن الوقوف على معنى انتهاء البث التلفزيوني في بعض الاقطار الاشتراكية في وقت مبكر ، ان مثل هذا القرار ليس منفصلا عن رؤية تربوية وسياسية على تماس مع فكرة ان الانسان طاقة عمل وانتاج معرضة للوهن

والضعف والخلل اذا لم ندرس ما يتعرض له هذا الانسان من تاثيرات خارجية تنال من اجهزته الحيوية ، كالجهاز العصبي والجوانب البايولوجية فالقرار يعني ببساطة عدم ارهاق هذا الفرد المنتج حتى ساعة متاخرة من الليل ، ارهاقا عصبيا وبايولوجيا وهو مطالب بالنهوض مبكرا للانطلاق الى العمل بجهاز عصبي حيوي وطاقة جسمية مكتملة ، ولذلك كان قرار اختصار البث دعوة لافراد المجتمع (عدا ليالي ايام الاعياد والعطل) ان يذهبوا الى مضاجعهم ليفيقوا مبكرين لا تلاحقهم الصور التي ارهقت الذاكرة والاعصاب ساعات اطول مما يجب ..

اذا اعتبرنا فعاليات وسائل الاتصال « تنبيهات » للعقل الانساني ، فان الحاجة الطبيعية للانسان تقضي بوجود تنبيهات حسية (سمعية وبصرية ولمسية) بقدر معين وقد اثبتت بعض التجارب التي اجراها علماء النفس ان اليقظة العقلية والاتزان العقلي يهتزان في حالة فقدان التنبيهات الطبيعية .. المهم ان يكون هناك قدر طبيعي غير مبالغ فيه .

ثمة تجربة معروفة تؤكد هذه الفرضية ، اجريت على طلبة جامعيين عصبت عيونهم ووضعت

في ايديهم قفازات تسمح بتحريك المفاصل فقط ، ووضعت الى جانبهم مراوح كهربائية ذات صوت رتيب يحجب سماع اية اصوات اخرى ، نام الطلبة اول الامر فترة من الزمن ثم قل نومهم ثم اصابهم ملل وضجر وعبروا عن حاجتهم الى تنبيهات تاتيهم من الخارج ، راحوا يغنون ويصرخون ويكلمون انفسهم ، ثم ظهرت عليهم علامات عدم الاستقرار وبدات منهم حركات عشوائية . لقد اختل توازنهم واصبح من المستحيل ان تستمر التجربة اكثر من يومين . خلصت التجربة الى انه في حالة فقدان التنبيهات الطبيعية الخارجية يكون الفرد عاجزا عن تركيز انتباهه في اي موضوع اولا ثم تجعله يستسلم لاحلام اليقظة .. ويفقد التفكير المنظم .. وبعض الطلبة بدا عاجزا عن التفكير مطلقا ..

اذن التنبيه حالة طبيعية للجهاز العصبي ، ولكن المخاطر الان تكمن في (الافراط) في التنبيه الذي يؤدي الى اختلال توازنات عديدة ، وعلينا ان نوازن بين ما يتوفر من امكانات للاتصال بين ايدينا طاقة الانسان وقدرته على تحمل هذه الوفرة في المعلومات ، يقول تقرير ندوة استوكهولم : لابد من ابداء مزيد من الاهتمام بالتركيب الاساس للجهاز العصبي المركزي للانسان ومعرفة امكانية عجزه عن العمل .. ان ربع السكان على وجه المعمورة هم

القادرون على استيعاب المعلومات المعقدة .. وهذا يعني ان للغالبية العظمى جهاز عصبي تتسم معالجاته للمعلومات بالقصور بعض الشيء .

ثمة حقيقة متفق عليها « ان هناك كما زائدا الى حد مبالغ فيه من المعلومات » وكل انسان مهيأ لحمل كم محدد من المعلومات منذ صغره يتباين من فرد الى آخر .

علماء النفس قلقون لان البحث الجاري الان في غمار ثورة وسائل الاتصال وبراكين المعلومات لم يأخذ بالحسبان الجوانب العصبية وحتى البايولوجية ويجب ان لا تنسينا هذه التقنيات المتطورة هذه الحقيقة . اذا اردنا ان نصل الى اكبر المجموعات البشرية فعلينا ان نبحث في امر الثلاثة ارباع من السكان ذوي الطاقة الاقل على الاستيعاب ، بتحسين ظروف واساليب الاتصال بهم وتبسيط المعلومات للقاصرين الذين يقصد بهم (المرضى والعاجزون والاقل نضجا وادراكا والمرهقون فكريا وعاطفيا ونفسيا .. الخ) .. وكما جاء في تقرير استوكهولم : من الخطا ان نعتقد ان المجتمع كله مؤهل باجهزة افراده العصبية لاستقبال المعلومات المبثوثة عبر الراديو والتلفزيون ..

اننا الان في حالة (تنبيـــه زائد) ومفرط ، و (كم زائد) من المعلومات ايضا ومن مخاطر ذلك ان يقود الى نتائج عكسية من قبل المتلقين الذي صار يرفض الحد الذي يتجـاوز طاقتـه على الاستيعاب وحاجته الطبيعية الى المعلومات . وهذا الكم الزائد يؤثر ايضا على النشاط الكهربائي للمخ وعلى وظائف الجسم الاخـرى « ضغط الـدم ، الافرازات الهرمونيـة ، توتر العضلات ، ضيق التنفس ، سـرعة التنفس ، ضـربات القلب .. الخ »(٥) .

والحل بايدينا ، المهم اسلوب بث المعلومـات واختيار الوقت المناسب ودراسة الواقع التعليمي ومستوى الادراك لدى جمهورنا وتركيب الجهـاز العصبي وطاقته ، ولذلك امامنا ان نسأل انفسـنا دائما عن المغزى النفسي للمعلومات ، وان نعمـل

(٥) يذكر الدكتور نوري جعفر في المصدر السابق ص ٢٠٦ :
« لقد ثبت مختبريا ان المنبهات الخارجية تستطيـع ان تترك اثارها ايضا في اعضاء الجسم الداخلية وليس في القشرة المخية وحدها . واتضح ذلك بجلاء عندما برهنت تجارب بيكوف لاول مرة على حدوث ذلك الاثر في الكليتين، ثم بعد ذلك وعلى اساسه في تجارب لاحقة على اعضـاء الجسم الداخلية الاخرى . »

على اعتماد اسلوب متقن في بثها بمعنى اتقان المعرفة بمن يقف على الجانب الاخر من ارسال الراديـو والتلفزيون . ايضا .. يمكن ان نضع المعلومات في اطار من (الطرافـة) الجذابـة وان نوازن بين المعلومات وبين المواد التي تهيىء لاسترخاء الجهاز العصبي المركزي .

اعيد ما انتهى اليه المجتمعـون في نـدوة استوكهولهم عام ١٩٧٤ بقولهم : ان من الحقـائق التي امكن قياسها فيزيائيا ، ان كمية التنبيـه ليست هي التي تحدد حجم التاثير انمـا الذي يحددها هو النوعية الذاتية للتنبيه ..

وعند هذا الحد ، سيصبح عملا غير مجد ان نتصور امكانية الوصول الى اهداف ملموسة من الجري وراء فكرة ان التكـرار لنمط واحـد من المعلومات يؤدي الى (غسل دماغ) وبعمم اقطارا معينة ، اننا حتى في حالة ابتغاء التعميم ونشر معلومات معينة لتمحو معلومات منافسة سبقت وصولها الى المتلقي لابد ان نبحث عن اساليـب مبتكرة تحقق الهدف مع المحافظـة على التنوع واختيار زوايا جديدة ومـوضـوعات تفصيليـة تندرج في اطارها تلميحات يفضـل ان لاتكـون مباشرة لتعبـر عن اتجاه محـدد ... ومن دون

الاستناد الى المخاطر التي سيدركها جمهور الراديو والتلفزيون لامحالة والعمل في ضوئها على اعادة النظر لتصميم البث اليومي وحجم المعلومات نسبة الى حجم عوامل الجذب وفترات الاسترخاء المطلوبة في العقل والوجدان اللذين نتوجه اليها من دون ذلك ، محتوى العمل اطاره المنظم المبرمج الى صيغة مشوشة مرتبكة تتميز عن الفعل الاعلامي الهادف بكونها (جلبة) و (ضوضاء) مربكة لاتقدم صفحات منظمة تتوازن مع حاجات صفحات العقل المتلقي في ظروف مكانية وزمانية محددة ولفئات محددة بالقياس المسبق والملاحقة الدائمة .. بهذه الطريقة نصنع خطوات سليمة في اتجاه الاهداف لاننا نكون قد عرفنا اية وسائل نستخدم وفي اية ظروف ...

ما جدوى ابتكار أجهزة استلام صغيرة للراديو والتلفزيون ؟

لم يعد مشاهد التلفزيون وهو على مشارف الثمانينات قنوعا بما كان منذ عدة سنوات امرا لا يصدق حصوله وامنية لا تطالها الاماني . فالمطالبة بتنويع الخدمات وايجاد قنوات عديدة لتلبية الحاجات المتنوعة للجمهور وتوفير فرص اكبر لاختيار الانماط المفضلة لدى فئات اجتماعية متباينة المستويات ثقافيا وتعليميا واجتماعيا واقتصاديا ؛ والبحث عن صورة ملونة دقيقة والحصول على مشاهدة مباشرة لاحداث تقع خارج الحدود عبر شبكات الاقمار الصناعية الدولية كل هذا اصبح جزءا من المطالبة اليومية ولم يعد نوعا من الاماني او المعجزات مستحيلة الوقوع ووسط هذه الحاجات المتجددة يعلن بين حين واخر عن التوصل لاختراع اجهزة استلام صغيرة

وصغيرة جدا للتلفزيون او المذياع ، ويطلق على هذا النمط من المبتكرات تسميات مختلفة فيها (اصغر جهاز تلفزيون) او (تلفزيون المستقبل) او (الميني تلفزيون) او (تلفزيون الجيب) ، وقد كان للخبراء اليابانيين والاميركان عدة محاولات في انتاج اشكال مختلفة لاجهزة استلام تلفزيونية صغيرة على نطاق محدود لم يتطور تجاريا لكي يتوفر لجمهور واسع كما هو الحال مع اجهزة التلفزيون بالاحجام الاعتيادية . وفي انكلترة تم عام ١٩٧٧ بعد دراسات دامت اكثر من عشر سنوات ابتكار جهاز تلفزيون اطلق عليه اسم (اصغر جهاز تلفزيون في العالم) وعرف بانه (تلفزيون جيب) ، حجمه بحجم آلة الحاسبة الصغيرة وهو يزن (٣٦٠) غراما ، طوله خمسة عشر سنتمترا وعرضه عشر سنتمترات ، اما مساحة الشاشة فهي ٣ر٧٥ سنتمترا فقط .

في حين تم ابتكار اجهزة اخرى بحجم علبة السكائر وهي اشكال صغرت كثيرا عن حجم اجهزة الاستلام التي سبق التوصل اليها ووضعت في السيارات الصغيرة وكانت مساحة شاشة العرض فيها لا تتجاوز عشرين سنتمترا مربعا .

والسؤال المركزي الذي تثيره هذه المحاولات .. ما هو جدواها ..؟ وما هي اهميتها في مستقبل

الصراع للاستحواذ على المشاهد وتحقيق تاثيرات اعمق في وجدانه وعقله ..؟

ان طبيعة التنافس بين هيئات وسائل الاتصال في المراحل المنظورة وظروف التلقي بجوانبها النفسية والبايولوجية والعقلية تعطينا اجابة سريعة ملخصها انه لن تكون لمثل هذه المبتكرات في مجال التلفزيون (وسنأتي على موضوع الراديو) دور مهم في مستقبل وسائل الاتصال وان استخداماتها ستبقى محدودة غير قابلة للانتشار .. ولتعميق هذا الاستنتاج نتوقف عند المؤشرات التالية :

اولا : منذ اكثر من ثلاثين عاما عندما بدا البث التلفزيوني يدخل البيوت ويطرح نفسه على كل عائلة ليشد انتباهها ويجذب عيون ابنائها صغارا وكبارا تعالت صيحات وتحذيرات الاطباء الى جانب الاختصاصيين الآخرين من مخاطر (شاشة التلفزيون) التي تشع حزما ضوئية هائلة في العيون المحدقة فيها ؛ ووضعت شروط للمشاهدة الصحية تقوم على الابتعاد عن الشاشة بما يزيد على المترين كما اصبح مفضلا الجلوس امام جهاز العرض الاكبر الذي يعطي صورة اوضح ؛

بل لقد بلغت الدعوة مستوى آخر بحصر المشاهدة بالبث الملون حفاظا على مستوى البصر وقوته وتحصنا ضد المخاطر المحتملة ..

ثانيا : ان من الحقائق التي يمكن استنتاجها في مسار التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال ، ان تقدم هذه الوسائل وتراكم الخبرات الصناعية واتساع دائرة الانتاج وزيادة الكميات المعروضة ستؤدي الى انخفاض مستمر في اسعار اجهزة التلفزيون الاعتيادية، ولذلك لن تكون هناك حاجة للتوجه الى الاجهزة الاصغر حجما اذا ما تباينت الاسباب الى حد بسيط .

ثالثا : ان استخدام هذه الاجهزة الصغيرة سيبقى محدودا باغراض معينة لايتجاوزه الى ابواب العائلة التي تشكل وحدة مشاهدة متكتلة للتلفزيون . . وهذه الاغراض تتعلق باستخدامات التلفزيون المتصل باجهزة الهاتف واجهزة السيارات الصغيرة ، وعمل المندوبين الاعلاميين الذي يقتضي متابعة البث التلفزيوني من اماكن بعيدة عن مركز البث ويكون الامر قاضيا بحمل اجهزة صغيرة وخفيفة تعمل على البطارية ..

ان هذا كله يدلل على ان هذه المبتكرات لن تكون في متناول العائلة باعتبارها الجمهور الحقيقي للتلفزيون وان التوسع التجاري في نشر هذه الاجهزة سيبقى محدودا على عكس الاحتمالات المتوقعة في مجال اجهزة الراديو ؛ فقد كان التوصل الى اجهزة الترانستور الصغيرة احد اسباب استعادة الراديو لفعالياته بعد التحدي الذي واجهه بانتشار اجهزة التلفزيون على نطاق واسع عندما اقتضى الامر تنويع عوامل جذب المستمع واعادته الى حظيرة الاستماع التي غادرها الى وسيلة اكثر جاذبية وتاثيرا على الحواس و تتفوق بالصورة الى جانب الصوت . لذلك جاء ابتكار اجهزة (الترانستور) عملا مناسبا لاستعادة اهتمام المستمع بالراديو بتوفير جهاز استلام رخيص وخفيف ويؤدي المهمة نفسها التي تؤديها اجهزة الاستلام كبيرة الحجم .

وعبر هذا التصور فمن المتوقع ان تلقى الابتكارات الجديدة في صناعة اجهزة استلام صغيرة للراديو[1] رواجا لا يقلل من الدور الذي يؤديه حاليا ويمكن الاستناد في ذلك الى عوامل عديدة منها :

- انه على الرغم من استمرار البث الاذاعي على الموجات القصيرة وبخاصة للبرامج الموجهة الى البلدان البعيدة تبقى الموجات المتوسطة هي الاوفر حظا في الحصول على مستمع يفضل الصوت الاوضح والاقوى ولذلك فان اجهزة الاستلام الصغيرة تملك ضمانة الاستمرار بتوفيرها الاستماع على هذه الموجات المتوسطة او الطويلة التي صارت اكثر انتشارا في السنوات الاخيرة .

- ان الشباب يشكلون الفئة الاكثر اهتماما بالراديو وبرامجه المتنوعة ولذلك فان الاشكال الصغيرة المبتكرة هي اكثر مناسبة لهم في اماكن الاستماع المتغيرة .

- ان عدم توقعنا انتشار اجهزة التلفزيون الصغيرة مع توقعنا انتشار اجهزة الراديو الصغيرة على نطاق اكثر اتساعا يستند الى واقع ان جمهور التلفزيون جمهور شديد التركيز وهو بحاجة الى صورة كبيرة وواضحة تشبع هذا التركيز على عكس جمهور الاذاعة الاقل تركيزا المتنقل في لحظات على عدة محطات للبث بادارة بسيطة لمؤشر الراديو .

(١) عرض السيد ـ ميشيو اوكامونو ـ احد المهندسين اليابانيين المشاركين في ندوة الاذاعة في الثمانينات التي نظمها اتحاد الاذاعات الاوربية في اوتاوا عام ١٩٧٦ جملة افكار حول اشكال الراديو في المستقبل ونشرها كتاب (الاذاعة في الثمانينات) الجزء الثاني ـ اصدار اتحاد اذاعات الدول العربية ـ الامانة العامة رقم (١٩) صفحة ١٧٧ ـ ١٧٨ كما يلي :

١ ـ جهاز راديو كاسيت :
هذا النوع من الاجهزة المركبة فيه اداة لتسجيل اشرطة الكاسيت لتسجيل الاشارات على الهواء ، وقد شاع استخدامه على نطاق واسع . ومن المتوقع ادخال تحسينات اكثر على هذا الجهاز .

٢ ـ جهاز راديو يعمل بالتحكم من بعيد :
المستمع في وضع سلبي بالنسبة لجهاز الاستقبال ، والمتوقع ان رغبة المستمع في استخدام جهاز استقبال على نحو اكثر ايجابية سوف تشتد ، وهناك طرق ووسائل مختلفة للاستجابة العملية لهذه الرغبة ، منها على سبيل المثال ، تركيب اداة داخل جهاز الراديو تعطي امرا بالتسجيل الاوتوماتيكي لبرنامج اذاعة ما عند سماع اشارة جرس تلفون مرتبة مسبقا برنين الجرس لعدد معين من المرات لتتقي الاداة تردد المحطة التي رغب المستمع في تسجيل برنامجها ويبدا التسجيل .

٣ ـ جهاز راديو سهل الضبط :
تركيب اداة تعمل بالضغط على زر داخل جهاز الراديو يستطيع المستمع بواسطتها ان يضبط

الجهاز على ترددات سابقة الترتيب من نوع السعة المضمنة AM والتردد المضمن FM والموجة القصيرة SW ، بمجرد لمسة الزر .

٤ ـ جهاز راديو مبرمج الضبط :
تركيب حاسب الكتروني صغير داخل جهاز الراديو يحفظ البرامج التي يرغب المستمع في الاستماع اليها طبقا لجداول البرامج كتلك التي تنشرها الصحف مثلا ، ويعمل الجهاز من حيث الضبط او تسجيل البرامج المرغوبة طبقا للمعلومات التي يغذى بها الحاسب الالكتروني .

٥ ـ الميني راديو : [ونتوقع ان يصمم هذا النمط المبتكر المتميز بصغر حجمه وسهولة استخدامه] ـ المؤلف ـ .
كما ان جهاز الراديو اصبح الآن لا غنى عنه بالنسبة لقائد السيارة ، فمن المفهوم انه سوف يكون هناك طلب ملح لاجهزة استقبال يستطيع المستمع استخدامها اثناء سيره على قدميه ، وفي الوقت الحاضر يستطيع جهاز الترانستور بسماعة الاذن ان يلبي هذا المطلب الى حد ما ، ولكن جهازا مستدق الحجم ، بحجم سماعة الاذن مثلا ، سوف يلبي هذه الحاجة على نحو افضل ، ويشجع على استخدام اوسع للراديو .

٦ ـ جهاز راديو ذو دقة عالية :
هناك فروق معينة في نوعية الاصوات الطبيعية . وفي النية تقديم الدراسات والبحوث التي تستهدف التقليل من هذه الفروق والتنبؤ بامكانات اعادة انتاج الصوت بامانة .

المحتويات

١ ـ المستقبل والارادة ٣

٢ ـ خطوات نحو اذاعة قومية .. ١٠

٣ ـ تغير عادة الاستماع والمشاهدة ٢٧

٤ ـ خيارات مشاهد التلفزيون ومشكلات المستقبل ٣٨

٥ ـ مخاطر محتملة على الجهاز العصبي للمتلقي ٥٠

٦ ـ ما جدوى ابتكار اجهزة استلام صغيرة للراديو والتلفزيون .. ٦٣

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م